الفصل السادس عشر

تنشيط الدماغ المتوسط

«لن يكون هدف التعليم في المستقبل إنتاج أناس متخمة عقولهم تمامًا بالمعرفة، وإنما تربية أطفال يعرفون كيف يستخدمون بفاعلية الدماغ كله، يجب أن يكون الهدف من تربية الطفل تنشئة أطفال ذوي قدرة هائلة وإبداع غني، وقابلية لاستخدام نسبة عالية من أدمغتهم».

البروفسور ماكوتو شيشيدا.

توجد منطقة محددة من الدماغ تسمى الدماغ المتوسط (mesencephalon)، أو التي يشار إليها بوجه عام بالدماغ المتوسط (midbrain)، التي يعتقد بعض المربين حديثًا (بخاصة في آسيا) أنه يمكن تعزيز الذكاء بصورة كبيرة عندما ينشط بكامله.

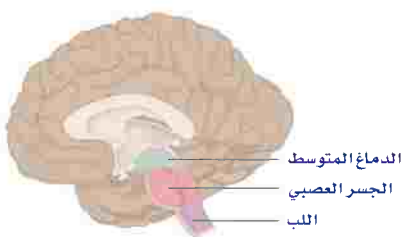

يقع الدماغ المتوسط بالقرب من مركز الدماغ

التحق ملايين الأطفال في الهند والصين وماليزيا وسنغافورة في السنوات الأخيرة، بمدارس متخصصة في تنشيط الدماغ المتوسط، ويقال إن معاهد التعليم الأساسية هذه قد تمخضت عن عباقرة بأعداد لا بأس بها، حيث تزعم هذه المدارس أنها تعلم الطلاب كيف يتعلمون بسرعة دون جهد تقريبًا، ومن الواضح أن هذا يتحقق عن طريق استيعاب كمية هائلة من المعرفة بوساطة أدمغتهم المتوسطة، بدلًا من القشرة المخية التي هي منبع معظم التفكير في الإنسان.

ورد في نشرة (DNA India) في 5 أغسطس 2014م، الصادرة عن وسائل الإعلام الإخبارية ومقرها موميباي، مقال بعنوان إنتاج أطفال متفوقين من خلال تنشيط الدماغ المتوسط في مراكز موميباي. «هل تريد أن يكون طفلك متفوقًا؟»، وأردف المقال: «اجعله يحصل على تنشيط دماغه المتوسط؛ هذا هو أحدث برنامج في نمو الطفل ينصح به الآباء في هذه المدينة، ويوجد فعليًّا (20) مركزًا على الأقل لتنشيط الدماغ المتوسط على امتداد البلاد». وانسجامًا مع معظم التقنيات والطرائق المذكورة في هذا الكتاب، فقد ورد في المقال: «يقول خبراء تنشيط الدماغ المتوسط إن الخدعة تكمن في الاستخدام المتساوي للجانبين الأيسر والأيمن من الدماغ».

أما النظرية التي تكمن وراء إنتاج عباقرة بهذا الأسلوب، فهي تحسين عمل الدماغ المتوسط الذي يربط الدماغ الأيمن بالدماغ

الأيسر، ومن الواضح أن بناء جسر مثل هذا بين جانبي الدماغ يتيح تبادل المعلومات بسهولة، الأمر الذي يتيح بدوره التعلم السلس والفاعل، ويقال إن النتيجة النهائية لتنشيط الدماغ المتوسط هي دماغ يعمل بأكمله، بدلًا من التقسيم المعتاد بين نصفي الكرة الأيمن والأيسر (من الدماغ).

وفقًا لما ورد في مقال (DNA India): «يزعم خبراء تنشيط الدماغ أنه يمكنهم تعزيز قوة الخيال والحدس والذكاء الخارق بين الأطفال في عمر (15ـ5) سنة»، ولا يقتصر تنشيط الدماغ المتوسط على الأطفال بوساطة هذه الطرائق؛ فيبدو أن البالغين أيضًا في وسعهم الوصول إلى احتياطيات غير مستغلة من القدرات العقلية.

يقال إن قدرات أولئك الذين نُشِّطت أدمغتهم المتوسطة بصورة تامة تتضمن الذاكرة الفوتوغرافية، وأداء حسابات عقلية معقدة، وإتقان اللغات الأجنبية في وقت قصير، والقراءة السريعة وحتى تحويل الصور إلى كلمات وأعداد ورموز في أدمغتهم.

أظهرت الدراسات باستمرار أن نحو (80%) من سكان العالم لديهم دماغ أيسر أكثر تطورًا، فما الذي يفتقده معظمنا من جراء وجود دماغ أيمن غير مستغل؟ الكثير، بحسب الخبراء!

يسلط مقال في المجلة التايوانية سينوراما (Sinorama) بعنوان إيقاظ الدماغ الأيمن: منحى جديد في التعليم قبل المدرسي، الضوء على هذه القضية؛ فذكر أنه «يعتقد أن الدماغ الأيمن يمتلك قوى استثنائية تعود أصولها إلى غرائز ما قبل تاريخ التعليم والحضارة». وأضاف المقال: «اكتشف المتخصصون في الدماغ في بداية عام 1975م أن القشرة المخية التي تنفرد بها الرئيسيات، مسؤولة عن الأنشطة الفكرية مثل اللغة والمنطق، ويقع الجهاز الحوفي أسفل القشرة ويسبقها، ويسمى أحيانًا دماغ الثدييات، ويختص في التعبير عن العواطف، أما جذع الدماغ فيقع في المستوى الأدنى، ويسمى أحيانًا الدماغ الزاحف، ويسيطر على وظائف الجسم الأساسية مثل التنفس ونبض القلب». حيث يعتقد عدد من الباحثين في الذكاء أن هذه الأجزاء الأقدم والأكثر بدائية في الدماغ، بخاصة في الدماغ المتوسط، هي الأماكن التي تأتي منها القدرات العبقرية.

إلى أن تجرى بحوث معمقة حول تحفيز هذا الجزء من الدماغ، يتعين علينا الانتظار لنرى ما إذا كان إنتاج العباقرة يمكن أن يتم عن طريق تنشيط الدماغ المتوسط، ويستمر في أثناء ذلك مزيد ومزيد من الطلاب في آسيا بالثقة بهذه الطريقة.

«يمكن أن يضعنا الدماغ المتوسط في المجال الإبداعي في لمحة البصر».
د. باسكاران بيلاي (Pillai Dr. Baskaran).